هوامش

أنجز الفنان الألماني ماريو كلينغمان عملاً فنياً فريداً من نوعه، يتمثّل في ناقد فني على هيئة كلب، بإمكانه أن ينظر إلى عمل فني مُحدّد، وقراءته وفقاً لقاعدة بيانات ذكية اصطناعية

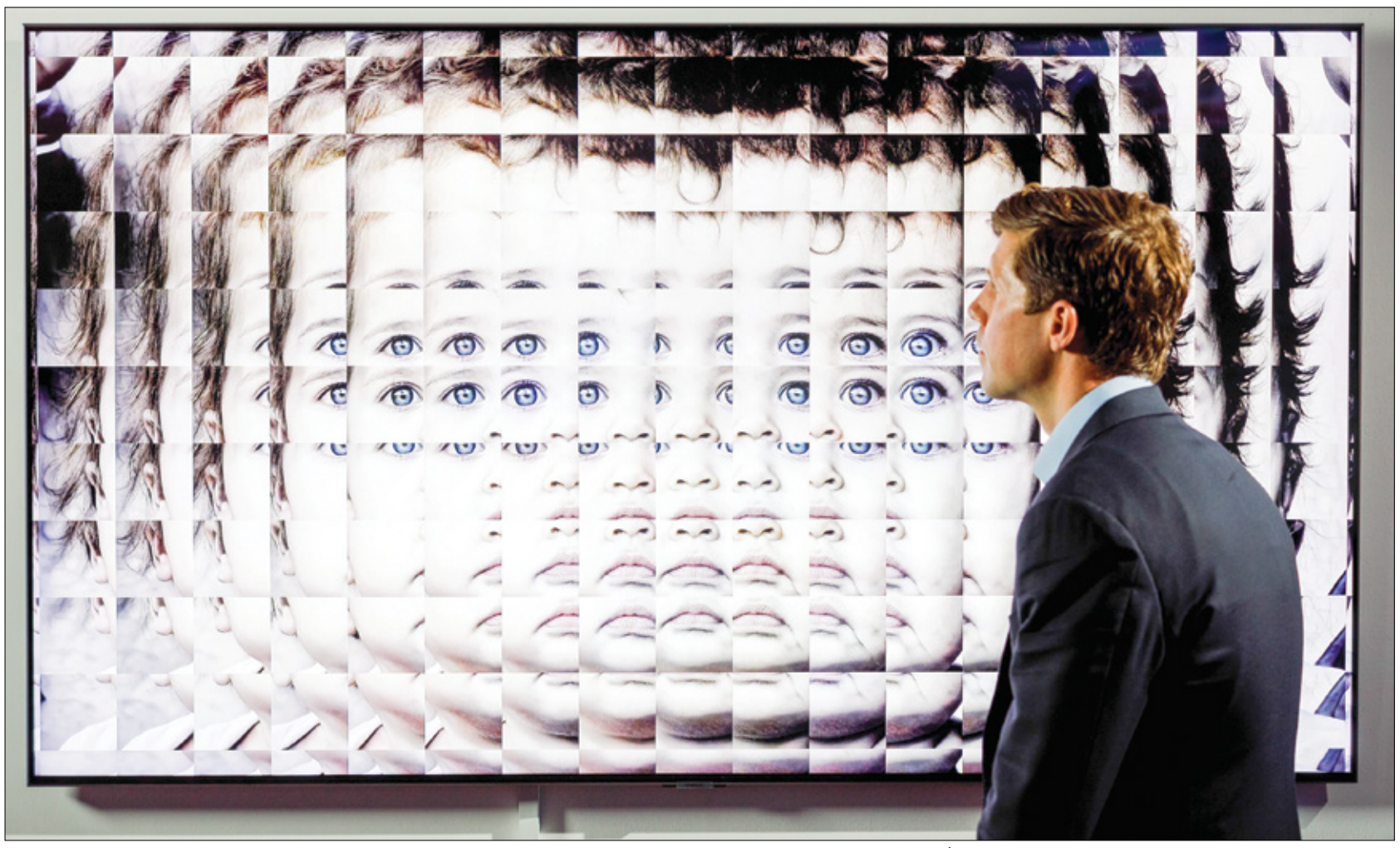

هل تستطيع هذه التقنيات أن تفهم حقاً عمق وتعقيد الإبداع البشري؟ (تريستان فوينغ/ Getty)

ماريو كلينغمان

ناقد فني يتّخذ هيئة كلب

ريم ياسر

في عمله الأخير الذي أنجزه بالتعاون مع إحدى المؤسسات المعنية بالذكاء الاصطناعي (Onkaos)، يتجاوز الفنان الألماني ماريو كلينغمان (Mario Klingemann) هذه العلاقة الحيوية والمعقدة أحياناً بين الفنان والناقد عبر عمله الأدائي الذي عرضه في متحف سولو في مدريد. يمثل العمل روبوتاً ناقداً يستطيع تحليل الأعمال الفنية عبر خوارزميات الذكاء الاصطناعي. أطلق كلينغمان على روبوته الناقد اسم AICCA، وهو اختصار لـ Artificially Intelligent Critical Canine. يمسح هذا الروبوت محيط قاعة العرض الفني، ويقارن العمل الفني المحدد وفق معرفته ومعلوماته المخزّنة في قاعدة بيانات ضخمة لتاريخ الفن. يتولى الروبوت تقييم العمل عن طريق فحص التكوين والأشكال والعناصر، ثم يولّد الخادم الكلمات الأساسية بناءً على التحليل، الذي يُصاغ إلى نص عن طريق شات جي بي تي. يتوقع كلينغمان أن تحدث هذه التقنيات تحولاً في التعاطي مع النصوص النقدية، ما يفتح لنا المجال لاستكشاف جوانب مختلفة ووجهات نظر متنوعة، كما يأمل أيضاً بأن تُرسل الغاليريهات والمؤسسات الفنية الدعواتِ مستقبلاً إلى روبوته الناقد، لتقديم وجهة نظره في العروض التي تنظمها. هناك شيء آخر في هذا الابتكار قد لا يستسيغه البعض، فالروبوت الناقد الذي ابتكره الفنان الألماني مُصمَم على هيئة كلب. أما النص النقدي، فيخرج مطبوعاً على ورقة تشبه الفاتورة من مؤخرته. لا بد أن أي ناقد فني سيقرأ هذا الوصف للروبوت الناقد الجديد سيتململ في مكانه، فالأمر لا يخلو بالطبع من السخرية والنقد اللاذع لدور الناقد وطبيعة عمله. ينفي كلينغمان هذه الدلالات الرمزية التي قد يشير إليها هذا الروبوت، ويرى أن الأمر لا يتجاوز التعبير الذي لا يخلو من الطرافة، كما يدعونا إلى عدم أخذ كل شيء على محمل الجد. بالنسبة للفنان الألماني فإن الأمر لا يتعلق بتحدي النقاد بقدر ما يمثل رغبة في اقتراح منظور بديل وغير تقليدي.

بعيداً عن هذه الدلالات الملتبسة التي يثيرها عمل كلينغمان، فهل يمكن حقاً أن يغنينا الذكاء الاصطناعي عن دور الناقد؟ تساؤل قد يطرح نفسه في مقابل تساؤل آخر بدا ملحاً واستفزازياً خلال الفترة الأخيرة حول الأعمال الفنية المنتجة بواسطة الذكاء الاصطناعي، والتي تعتمد على النصوص في تخليق الصور. بعد انتشار هذه التقنية، وجدنا أنفسنا أمام سيل من التحليلات التي تفسر أو تتنبأ بنهاية متوقعة للفن كما نعرفه. على مستوى النقد الفني، قد تواجهنا أيضاً التخوفات والتساؤلات نفسها حول دور الناقد، والتحول الذي يمكن أن يطرأ على علاقته بالفنان، بناءً على التنامي المتوقع لمثل هذه التقنيات مستقبلاً. فهل يمكن للذكاء الاصطناعي حقاً إنهاء هذه العلاقة التقليدية والمتينة بين الفنان والناقد من خلال إدخال كيان غير بشري في عملية النقد؟ وهل تستطيع هذه التقنيات أن تفهم حقاً عمق وتعقيد الإبداع البشري، وتقديم رؤى تتناسب مع الفروق الدقيقة والذاتية لوجهات نظر النقاد؟ تساؤلات كثيرة ستواجهنا لا نمتلك الإجابة عن العديد منها، لكنها تعكس تخوفاتنا إزاء تنامي تقنيات الذكاء الاصطناعي. على الرغم من أن هذه المحاولات جميعها لا تزال في طور التكوين، ويتسم أغلبها بالسذاجة أحياناً، غير أن من المؤكد أننا نقف على أعتاب منعطف جديد ومثير.

إن الأدوار التي يضطلع بها كل من الفنان والناقد لا غنى عنها، ولا يمكن استبدالها بمنظومة من الخوارزميات الرقمية، فالفن هو نسيج من التجارب الإنسانية، والفروق الثقافية الدقيقة، والسياقات التاريخية التي قد تستعصي حتى على أكثر أنواع الذكاء الاصطناعي تطوراً. ومع هذا يمكن أن تكشف هذه القدرة الفائقة التي يتمتع بها الذكاء الاصطناعي على معالجة كميات هائلة من المعلومات المتعلقة بتاريخ الفن والأنماط الإبداعية عن روابط جديدة ووجهات نظر بديلة. في هذه الحالة، يمكن أن يقدم الذكاء الاصطناعي مستوى جديداً ومختلفاً لهذه العلاقة، إذ يتعايش الفنانون والنقاد مع التكنولوجيا، ما يساهم في دفع حدود التعبير الإبداعي نحو مساحات غير متوقعة. ربما وجب علينا أن نؤهل أنفسنا من الآن لهذا التعايش الحتمي مع الذكاء الاصطناعي، وبدلاً من الاستغراق في هذه التخوفات، والنظر إليه كتهديد محتمل، علينا أن نتعامل معه كأداة لتعزيز الخطاب الإبداعي.

باختصار

هل يمكن للذكاء الاصطناعي حقاً إنهاء العلاقة التقليدية والمتينة بين الفنان والناقد من خلال إدخال كيان غير بشري في عملية النقد؟

■■■

قد تكشف هذه القدرة التي يتمتع بها الذكاء الاصطناعي على معالجة كميات هائلة من المعلومات عن روابط جديدة ووجهات نظر بديلة

■■■

يمسح الروبوت محيط قاعة العرض الفني، ويقارن العمل الفني وفق معرفته ومعلوماته المخزنة في قاعدة بيانات ضخمة لتاريخ الفن

وأخيراً

في هجاء المنفى الشمالي

محمود الرحبي

يوزّع العراقي، حسن بلاسم، في روايته «قانون سولولاند» (دار المتوسّط، ميلانو، 2022) صراحته بعدالة، سواء على مستوى اللغة الكاشفة رغم بلاغتها ومظانها الدلالية أو عن طريق سرد المشاعر الدفينة لحياة اللاجئين الهاربين من جحيم الأوطان، ليقعوا في فخاخ أوطان جديدة ترفض قبولهم إلا لاجئين مقيمين في ظلال من التوجّس والريبة. تبرع الرواية في تكثيف مأساة اللاجئين العرب، في مواجهة عنصرية باردة يعيشون تفاصيلها وآلامها ببطء. جاءت في مائة صفحة، وقدّمت مادتها في إطار حبكة بوليسية تشويقية تشدّ القارئ وتضعه أمام استبطان ماهر لمشاعر المنفيّين في فضاءٍ لم يكن اختيارياً.

«أكتب من أجل الذين لم يولدوا بعد، لاجئي الحروب والفقر والمناخ المستقبليين.. أنتم الذين ستبقون غرباء ومنبوذين. أنتم الذين ستطاردكم إلى النَّفَس الأخير لعنة هروبكم وترك بيوتكم».

كنتُ، وأنا أقرأ الرواية، أستذكر الصمود الذي يبديه أهل غزّة في التمسّك بأرضهم وتفضيلهم الموت والحصار على أي واقع آخر، «ليس هناك تجربة تضاهي الهجرة قسراً غير تجربة موت شريك حياة أو فقد أمّ لطفلها في حادث مفاجئ، بل ربما يكون الرحيل القسري أقسى بكثير، لأنّه ليس موتاً، بل احتضار طويل. في الكثير من الحضارات القديمة كان النفي أشدّ العقوبات قسوة». وبعد أن تجول الرواية في هجاء المنفى من داخله ومن أعماقه، يوجّه السارد دائرة تعبيره على هيئة سؤال مفتوح إلى الإنسان المنفي، الذي يعيش عزلة وغربة مركبة، وصراعاً تفصيلياً في محيط يقبله على مضض ويرفض التعايش معه واعتباره مواطناً مثله، رغم الإطار العام البرّاق والقوانين التي تبدو صارمة، ولكنها في العمق هشّة تجعل المغترب عرضة لرياحها المتحوّلة.

والسارد هنا لا يقدّم مادته إنشائياً، إنّما يبثّها في سياق الحدث المتنامي لبطل القصة الذي يروي الأحداث من سجنه، بعد أنّ اضطر إلى ارتكاب جريمة قتل دفاعاً عن النفس، حين استدرجته فتاة أوروبية، ورفاقه الثلاثة، إلى غابة بعيدة. ولأنّه لا بد أن تكون هناك جريمة للاجئ حتى إن لم يرتكبْها، اختار بطلُ الرواية جريمةً ألصقها بنفسه، وهنا تذهب الرواية مذهباً بليغاً ماكراً في التعبير عن علاقة اللاجئ بالشرطة في المنافي الباردة، بيد أنّهم يعيشون في المجتمع الجديد (اضطهادات) تأخذ أكثر من مستوى ومقام: «كم مرّة حاصرتك النظرات الخائفة المريبة والغاضبة، في العمل والأماكن العامة؟ كم مرّة تحوّلت العيون من حولك إلى كاميرات مراقبة بوليسية؟ كم مرّة شعرت أنّك (مجرم) افتراضي محتمل؟ كم مرّة رفضوا أن يؤجّروا لك بيتاً بسبب اسمك ولون بشرتك؟

كم مرّة تجنبوا أن يجلسوا بقربك في الباص أو المترو؟ كم مرّة زعق كحولي فجأة في وجهك، من دون سابق إنذار، ومن دون سبب؟ كم مرّة سخروا من لغتك وثقافتك وانتمائك؟ كم مرّة أفسح أحدهم لك المجال لأن تسحب الأموال من الصرّاف بعد أن كان دوره، فأنت خلفه مثل ظل شبح مخيف، والله وحده يعلم ما هي نواياك؟ كما مرّة أذلّك موظف الخدمة الاجتماعية، وتعامل معك بحدّة وكراهية؟ كم مرة عاقبتك الشرطة ضعف العقوبة المعتادة، بسبب أي مخالفة بسيطة؟ كم مرّة رفضوا أن يدخلوك النايت كلوب؟ كم مرّة جلست لتشارك أحدهم طاولته، فانسحب غاضباً من دون أن يلتفت إليك؟».

> تبرع رواية حسن بلاسم «قانون سولولاند» في تكثيف مأساة اللاجئين العرب، في مواجهة عنصرية باردة يعيشون تفاصيلها وآلامها ببطء

بطل القصة قبل أنّ يضطر إلى دخول السجن بسبب جريمة لم يرتكبْها، يصوّر لنا حرص اللاجئين وحذرهم الشديد من اقتراف أيّ خطأ في بلد غريب عنهم صارم في قوانينه. ورغم ذلك، وبسبب العنصرية والفوقية المبطّنة، تلاحقهم التُّهم وتعصف بهم الظنون، من دون سبب أحياناً، بل لأنّهم لاجئون فحسب، رغم أنّهم يعملون بكد ويخوضون في أكثر من عمل يدوي من أجل ادّخار المال، كما حدث لبطل الرواية، الذي اختار بعد عمله الطويل في مطعم، أن يتفرغ للترجمة في أحد مخيمات اللاجئين في بلدة سولولاند البعيدة.

اختار حسن بلاسم عنوان روايته في سياق السخرية من قانون يسمّى « قانون يانته» المعمول به في دول الشمال الأوروبي. في إحدى فقرات الرواية يصرخ البطل: «أعزّائي اللاجئين: أنتم عبيد العصر!».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**